فضل التعلم والتعليم وسبل تحقيقها

إخوة الإيمان:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ما ترك خيرًا إلا دلنا عليه، ولا ترك شرًّا إلا حذرنا منه، صلى الله عليه وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليماً، أمّا بعد: عباد الله: أوصيكم ونفسي أولا بتقوى الله تعالى وطاعته، قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ،

إخوة الإيمان: بمناسبة افتتاح مدرسة مسجد عمر وفي كل المساجد أقول: الإسلام حث على التعليم ومحو الأمية، وأول ما أنزى من القرءان: أقرأ باسم ربك.....فالتّعلّم طلب العلم والمَعرفة، والتعليم إيصالُ العِلم والمعرفة وبذلُها للآخرين، والعِلم في الإسلام لا حَدَّ له ولا نهايةَ، فجميع أنواع العلوم وبكل اللغات أمر مطلوب، قال الله تعالى: وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً [الإسراء]ومَن أمعنَ النظرَ وأحسَن التفكير وتتبّع الأسبابَ المبثوثةَ في الكونِ دلّه الخالق سبحانه على بعضِ أسرار خلقِه، قال تعالى: عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [العلق]وقال سبحانه: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ [فصلت] وقال سبحانه: وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا[الزخرف]وكلُّ علمٍ نافعٍ فهو مطلوبٌ شرعًا، كان الرّسولُ صلى الله عليه وسلم أوّلَ من سعَى لمحو الأمّيّة حين جعَل فداءَ أسْرى بدرٍ أن يعلّمِ كلٌّ منهم عشرةً من المسلمين القراءةَ والكتابة، ومهما كان مقامُ الإنسان عاليًا ومنصبُه ساميًا فإنّه لا يستغني عن التّعليم، فهذا نبيّ الله داود عليه السلام مع حصوله على الملك والنبوّةِ لم يستغنِ عن تعليم الله إيّاه، قال الله تعالى: وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ [البقرة] وموسى عليه السلام يلتمِسُ من العبدِ الصالح مرافقته ليتعلّمَ منه، قال تعالى: قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا[الكهف]وطلبَ منه المزيدَ: وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا[طه]قال سفيان بن عُيينة رحمه الله: أوّل العلم الاستماع، ثمّ الفَهم، ثمّ الحِفظ، ثمّ العمَل، ثمّ النّشر، فميدانُ التربية والتعليم من أهمّ الميادين، أثرُه كبير في تنشِئةِ الأجيال الذين هم قاعِدةُ بناءِ المجتمعات والدّوَل، ولما كان التّغيير في المجتمعاتِ والأمم يسيرُ حسب سنّةٍ لا تتبدّل: إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ[الرعد]فإنّ ميدانَ التغيير التربيةُ والتّعليم، وجيلُ المتعلّمين اليومَ هم قادةُ مجتمَع الجيل القادم، ولقد صارتِ التربية والتعليم في الواقعِ التاريخيّ للأمّة من أهم الأمور، فكانت وسيلةَ هدايةٍ وطريقةِ خير للفردِ والمجتمع والنّاسِ أجمعين، فقد كان الرّسول صلى الله عليه وسلم هو المعلّم الأوّل للأمّةِ: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ[الجمعة]التّربيةُ والتعليم في الإسلام تُؤسَّس على قِيَم الأمّةِ ومبادئها، وبهذا نعلَم أنّه لا يمكن لأمّةٍ من الأمم أن تستعيرَ مناهجَها التعليميّة من أمّةٍ أخرى، التّربية الإسلاميّة تغذّي العقلَ بالحقائقِ والمعارفِ، والنفسَ بالتربية والأخلاق، فنحن أمّةُ نبيٍّ بُعِث بمكارِم الأخلاق، وفي عصرِنا يظهر جليًّا أنّ التعليم بلا تربيةٍ ضررُه أكثر من نفعِه، فالتقدّم التقنيّ في الأطباق الفضائيّة مثلاً سُخِّر للعُري الماجن، والمُجون الفاضح، وقَتلِ الحياء، ووأدِ الفضيلة، وتلويثِ العقولِ بالأفكار المنحرِفة، وكذا التقدّم العلميّ في الحضارةِ المادّية المعاصرة ولّد قوى عُظمى، لكنّها قوى همجيّة، لا أخلاقَ تردَعُها، ولا قيَم تهذّبها، قوَى سيطرةٍ واستبدادٍ وامتصاصِ ثرواتِ الضعفاء وسَحق الأبرياء، هذه الحضارة المادّيّة ولّد عِلمُها الذي لم يهذّبه دينٌ ولم يقوّمه خُلقٌ، جيوشًا جرّارة، ترتكِب المذابح، وتنحَر السلام، وتغتصِب الفتيات، ونَشأت في أحضانِ هذا العِلم عصاباتُ الاتّجار بأعضاءِ البشر باعتبارها قِطَع غيارٍ عالميّة، إنّه علمٌ يجعلُ المنتمين له سكارى، لا وازعَ لهم ولا حيَاء، النّورةُ العلميّة المادّية لم توفّر للناس طمأنينةَ القلب، وسكينةَ النفس، وهدوءَ الأعصاب، والأمنَ الشّامِل، والسلامَ العادل، فالعالَم ينزِف من ويْلاتِ القتل الجماعيّ والتدمير الإباديّ والتفجير الذي ينشُر الأشلاء، العالَم يئنّ من موتِ الضمير، وفقدانِ الأخلاق، فالسّرقة والاختلاس والغِشّ والرّشوة والترويجُ للمخدرات والخيانات وغيرها شاعَ أمرُها، وفشَا ضررُها في العالَم، والسّبَب هو غِياب التربية مع التعليم، هذه مفاجأةُ ما يُسمَّى بالتّربية الحديثة، لا تُقيم وزنًا لدِينٍ أو خلُق، تحرّكها المصلحةُ والمنفعة، تشعَل حروبٌ وتدمَّر قرًى من أجل المصالح والمنافع، إنّها قوى لا تهتدِي بنور الله، أمّا التعليم في الإسلام فأنموذجٌ فريد، وتكاملٌ بديع مع التربيّة الإيمانيّة الراسخة، إنها تنشِئ جيلاً ربّانيًا، يعمِّر الحياة، يبني الأرضَ، يقيم العقيدةَ في القلب والمشاعِر والجوارح، يقوم بدَور الخِلافة لتحقيق العبوديّة لله، ولتكونَ سِمةُ المُخرجات جسدًا طاهرًا، قلبًا مؤمنًا، عِلمًا نافعًا، وحضارةً تستنير بهدَى الله، التّعليم في الإسلامِ هو المنهَج الوحيد الذي يربّي الفردَ وينمّي شخصيتَه ويجعله يطلُبُ التعليمَ ويسعى للتبوغ والرّيادةِ للبناء لا للهَدم، للخير لا للشرّ، للفضيلة لا للرّذيلة، إنه لا يعتدِي، لا يُفسِد، لا يدمّر، يخشَى مِن إراقة قطرةِ دمٍ فضلاً عن تدميرِ قُرًى وبيوتٍ على الأطفال والنّساء والأبرياء كما تفعلُه جرّافات أدعياءِ التقدّم والحضارة، إخوة الإيمان، هذا وإلى الجمعة المقبلة إن شاء الله تعالى وإذا كان في العمر متسعاً.

خطبة الجمعة ليوم 23 غشت 2024 م